زهور برية

« ٢ »

المعلم داود صليوا

قضى في العاصمة في اليوم الرابع من الشهر المنصرم ، شهيد جديد من بؤساء الادب اريد به المعلم داود صليوا الذي لم يكن له ذنب في العيشة القاسية التي اعاشها مؤخراً الا لانه ادركته حرفة القلم .

ولد رحمه الله في الموصل سنة ١٨٥٢ م ودرس في مدارسها الاهلية ثم احترف التعليم هناك وفي الثانية والعشرين من عمره جاء بغداد و بدعوة من مدير مدرسة الاليانس الاسرائيلية لتدريس العربية في مدرسته . فقضى في صناعة التعليم في هذه المدرسة وغيرها من مدارس مدينة السلام نحو اربعين عاماً .

وقد وقع للفقيد مع الشيخ ابراهيم اليازجي حادثة يحسن بنا اثباتها هنا اقراراً بفضل الاموات فقد روى لنا المعلم المرحوم ان الشيخ اليازجي بعث اليه بعدد من مجلة (الضياء) ولضيق ذات يده يومذاك لم يتمكن من قبول المجلة فردها الى صاحبها وقد كتب عليها هذين البيتين :

تالله ما امن العثار ولو مشى رجل بجد الارض في الظلماء
لكن علي رغم دعتنا حاجة نسري لضيق الحال دون ضياء

فكان جواب صاحب الضياء — طاب ثراه — ان اعاد اليه ذاك العدد مع اعداد الضياء السابقة وقد ارفقها بما صدر من مجلتيه (الطبيب) و (البيان) وكذلك اهداه مؤلفاته وصار يواصله بالضياء حتى انكشف بوفاة ذلك العميد اللغوي الكبير وقد ارسل المعلم داود على اثر هذه الحادثة الى المرحوم جرجي زيدان مؤسس الهلال بالبيتين التاليين :

لله ما احلى الهلال وضوءه فيه ترى آي الكمال مثيلة

كم لي احاول في اجتلائي نوره لكن عين الحال في كليلة

فاجابه زيدان على الفور: ابعث بـ ٢٥ فرنكاً، تصلك اجزاء الهلال منتظمة، وعليه المعلم بما يأتي:

لقد ابتغيت من الهلال تنوراً فتقلصت عني اشعة ضوئه

فكأنني يوم الخسوف قصدته فرأيتني كالمستظل بفيئه

وقد انشأ المرحوم بعد الدستور جريدة اسبوعية دعاها (صدى بابل) لم تلق رواج المطلوب لكساد سوق الادب عندنا من جهة ولقلة خبرة الرجل في هذه الصناعة من جهة ثانية ولما كانت الحرب الكبرى ابعد المعلم داود مع من ابعد من احرار بغداد الى (قيصري) فكابد مشقات اليمة ثم رجع وكان يشتغل في الكتابة حتى آخر يوم من حياته وقد بعث بسلسلة مقالات في اصول التدريس الى مجلة دار المعلمين في العاصمة قبل ان وافاه القدر بيومين . — ثم مات كما يموت الادباء في الشرق اثابه الله في اخراه جزاء اتعابه في دنياه . وليس لصاحب (صدى بابل) خلف في الادب وهذا ما نؤاخذه عليه .

الجاني على الادب

علم كثير من القراء ماقام به الشيخ ابراهيم اليازجي من الخدمات الجلى للغة الضاد وبقدر ما احسن هذا اليازجي الى الادب ، يجني اليازجي الحفيد اليوم — وهو البقية الباقية من هذه الاسرة الكريمة — وهو المسمى حبيب بن الشيخ خليل بن ناصيف . وحكاية الحال انى لما رأيت حضرة يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر يعنى في الايام الاخيرة بخدمة اللغة العربية بما ينشره من مؤلفات العلماء والادباء اردت ان انتهز الفرصة فكتبت اليه مقترحاً عليه طبع مختارات للشيخ ابراهيم اليازجي مع ديوانه وغير ذلك من آثار الرجل خدمة لجماعة المتأدبين من ابناء هذا العصر . فاجابني البستاني بما طبع عليه من اللطف شاكراً

ومبينا انه يشتغل منذ شهرين بجمع مختارات اليازجي ومما جاء في جوابه :

« واما ديوان المرحوم الشيخ ابراهيم فهذا موجود عند ابن اخيه المدعو حبيب اليازجي . . . . . ولم ننظر ولن ننظر ولداً . . . عقوقاً لوالديه واهله مثل حبيب هذا فلليازجي مؤلفات كثيرة غير هذا الديوان قد حجز عليها المذكور بدعوى ان عمه كان ماسونياً وقد يكون في تآليفه شيء من الامور الكفرية التي لا يصح نشرها فتأمل ! . . »

أفلا يحق لي ان اسمي هذا الولد العقوق (الجاني عَلَى الادب) كما سمي الشيخ ابراهيم المحسن الى الادب .

بين الآنسة « مي » والشيخ الدجيلي

« مي » او الآنسة مي ، او الاميرة مي — كما سماها الاستاذ الكبير جبر ضومط نبغت في الادب العصري . فتحولت اليها الانظار ، فمن لا يرغب في الاستفادة من ادبها ، بوده ان يتمتع بنظرة منها — عَلَى ذمة من شاهدها — فصار كثير من الادباء بين شبيبة وشيب ، يتزلفون اليها في المجالسة والترسل ومن يقرأ نقار يظ آثارها — بل آياتها الساحرة — في صحف الاقطار يعلم منزلة « مي » من قلوب القوم .

كتبت هذه الآنسة النابغة فصلاً عن فقدان الشعر القصصي بالمعنى الذي يريده الافرنج عند العرب بمناسبة صدور (عمرية حافظ) قبل مايزيد على السنتين . فانكر عليها ذلك احد اكابر الادباء في العراق . فظهر الانتقاد في (المقتطف) بتوقيع الشيخ كاظم الدجيلي . فتكلفت اميرة القلم بالرد عليه عَلَى صفحات المقتطف نفسه . وكان الفوز في المعركة اخيراً حليف الآنسة — وقد كتب لها الفوز في كل نزال — غير ان مي حفظت للشيخ في صدرها نقمة لانه اذ اراد اظهار مبلغ اطلاعه الواسع تجاوز في تخطئتها . ثم مالبث حضرة الشيخ ان ندم على مافعل — عقيب الفوز طبعاً ! — فحار في الطريقة التي يكفر بها عن زلته حتى اوحت اليه (ادانو) في احدى الليالي المقمرة بابيات عامرة عنوانها بـ (هل انت شاعرة فاني شاعر)

وابدي فيها كل تخشع وتخضع . وبعد ان نشر الشاعر ابياته في صحف العراق ، عاد فنشرها في الهلال ، ولما كان غير متأكد من التفات مي الى تلك الابيات لانشغالها بمعاني « الخليل » وشجو « ولي الدين » التمس من اديب بغدادي كبير — اسعده الحظ بمكاتبة هذه الكاتبة الفذة — ان ينبهها في رسائله الى المنظومة عن لسان الشيخ ، مسترضياً .

فجاء جواب « مي » على ذلك ينم عن طبيعة المرأة ، تحنق ثم لاتلبث ان تصفح! وقد اغرقت في كرمها فجادت على الدجيلي — جزاء اجهاد قريحته في نظم الابيات بكتابها البديع « باحثة البادية » وقد كتبت عليه بخطها الفارسي الرائق « الى اعدل الظالمين من الشعراء » فابتسم ثغر الشيخ بعد القطوب ، واراد ان يشكر الاديبة على تحفتها فكتب اليها رسالة علمت يوم اطلعني عليها — انها بدون جواب . وهكذا كانت .....

فهل لشيخنا الدجيلي اليوم استرضاء الملك الادبي بقصيدة ثانية يجعل عنوانها (هل انت حانقة فاني نادم) واعتماداً على ما اعرفه من اخلاق درة فتيات العصر — ومعرفتي لها بالقراءة ليس الا — اقدر ان اتكهن بصفحها هذه المرة (ايضاً) عند ذاك احذر صديقي « ابن دجيل » من الزلل ثالثة لان صبر سيداتنا بمقدار ؟ !

مايقال عن ادبائنا

ان (كاظم الدجيلي) هو الاديب العراقي الوحيد ، الساطع النجم في الجد واللعب ، ... و (الزهاوي) وضع — في مدة سكوته — مقدمة في لشعر لمختاراته الشعرية ، التي اسماها (عيون الشعر) استشهد فيها بثلاثمائة بيت لشعراء الضاد . و (الرصافي) قال حديثاً بيتين في وطنية اليوم ، ومثلهما في وصف موقف بعض الناس فلم يبق متأدب في بغداد الا وروى الابيات الاربعة وتناقلها . و (يوسف غنيمة) هو الكاتب البغدادي الفرد الذي لا يخلو عدد من المقتطف من آثار قلمه . و (حبيب

العبيدي) يضن بنفثاته الشعرية والنثرية على الصحف العراقية وغيرها وليس هذا من كرم الشاعر وسماح العالم في شيء . و (مهدي البصير) فقد الجزئين الاول والثاني من ديوانه (البابليات) . (وما تبقى فللعدد القادم) .

بغداد : حارس الحقل

— على الطريق —

نظرت شيخاً جليلاً كال الشيب رأسه ، واحنت السنون ظهره ، قد جلس على الطريق لاستعطاء المارة .

رأيته حزيناً ، وقرأت على سيمائه كلمة فقر بكل معناها .

فقير لايملك شيئاً — لا عائلة ، ولا مسكن ، ولا خبز ، ولا ملجأ له ، بل فيه بقية من الامل .

كان المساء ، و كانت الشمس تجمع حبالها الذهبية مودعة ، فقرص البرد ، ورقصتا شفتا الشيخ من القر ، واحس بالجوع ، ولم يكن لديه غذاء ، ولا كسوة .

بينا فقيرنا يقاسي مضض هذه الحالة المحزنة ، اذ مر بقربه رجل وهو يضحك و يحادث رفيقه عن الارباح الطائلة التي ربحها .

مد الفقير الى الرجل يده وحياه باحترام — و بتواضع قال : « حسنة لوجه الله »

تابع الغني طريقه دون ان يرد التحية ، ولا ان يلتفت الى اخيه بالانسانية ، وظل محدثاً عن ارباحه — وكأن قلبه قد من الصخر او صفح بالرنان معشوقه ، ففقد كل حس وشعور .

رد الفقير يده فارغة ، و بقي متأملاً بزوال هذه الحياة ، ومتكلاً على الله — اما القاسي القلب فكمل طريقه .

شاهدت ذلك ، فتأثرت من ذلك المشهد المحزن ، ولكني علمت النفس بسعي « الجمعية الخيرية الاسلامية » الى اغاثة هذا البائس المسكين ، وامثاله الكثيرين .